تلك الثورة وقد بلغت مداها ومبتغاها فانكسرت حدّتها، ولانت شكيمتها، وصحت من سكرتها فانطلقت تنظّم شؤونها وتحصي مغانمها، وتسهر على سلامتها وتنميتها كيما يتاح لها فيما بعد أن تستمتع بأطايبها إلى أقصى حدود الاستمتاع.

ويأتي الخريف فإذا الثورة الطبيعيّة تعطي نتاجها. ونتاجها ثمار ناضجة بهيّة شهيّة. فيها الجمال وفيها اللذّة وفيها العافية. وتمضي الأرض تنعم بثمار ثورتها فتجني وتأكل وتشبع، وتختزن ما فاض عن حاجاتها. وإذ تشبع يرين على أجفانها النعاس فتحلو لها القيلولة لتهضم ما أكلته وتستريح من وعثاء الحَمْل والمخاض والولادة.

والشتاء هو قيلولة الطبيعة الثائرة تفرضها الحياة عليها فرضا ضنّاً بقواها من التفريط وبأمعائها من التخمة، وخوفاً عليها من الفوضى. فمن حكمة الحياة أن تمشي بأبنائها الهوينا في سبيل الانطلاق الكامل، لا أن تدفعهم إليه في جزة واحدة. ذلك لأنّ الحرية إكسير لا يستطاع التداوي به إلّا جرعة جرعة. وجرعة واحدة منه تكفي لعمر واحد أو لدورة واحدة.

لعلّنا إذ نتكلّم مجازاً عن فصول العمر نصيب لبّ